يكون شيئا على الطاعة معاقبا على المعصية فكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة وهبل
وإسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات
والعزى أتنبئون الله بما لا يعلم أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بمعلوم لله وإذا لم يكن معلوما له وهو
العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لأن الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه فإن قلت
كيف أنبأوا الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي أنبأوا به
باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل بما لا يعلمه وقرئ أتنبئون بالتخفيف
وقوله في السموات ولا في الأرض تأكيد لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم يشركون قرئ بالياء
والتاء وما موصولة أو مصدرية أي عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم وما كان الناس إلا أمة
واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل
هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم
القيامة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه وتميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون
هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه أرادوا آية من الآيات
التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما أنزل الله عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها
وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها
كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم
في الغي فقل إنما الغيب لله أي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد به يعني أن الصارف عن إنزال
الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه إني معكم من المنتظرين لما يفعل
الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا
فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله ويكيدونه وإذا الأولى للشرط والأخرى
جوابها وهي للمفاجأة والمكر إخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة والمطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم
حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم فإن قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله أسرع مكرا قلت
بلى دلت على ذلك كلمة المفاجأة كأنه قال وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجأوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه
قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله تعالى دبر عقابكم
وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام إن رسلنا يكتبون إعلام بأن ما تظنونه
خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا
وعن أبي هريرة أن الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فيصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء
كذا وقرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الأرض ثم إذا أنتم بشر تنتشرون فإن قلت
كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر إنما هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل
الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم
حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء
بالإنجاء فإن قلت ما جواب إذا قلت جاءتها فإن قلت فدعوا قلت بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم
ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فإن قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قلت المبالغة كأنه يذكر لغيرهم
حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح فإن قلت ما وجه قراءة أم الدرداء في الفلكي بزيادة ياء

النسب قلت قيل هما زائدتان كما في الخارجي والأحمري وبحراري يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك إلا فيه والضمير
في جرين للفلك لأنه جمع فلك كالأسد في فعل أخي فعل وفي قراءة أم الدرداء للفلكي أيضا لأن الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت
الريح الطيبة أي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع أمكنة الموج أحيط بهم جعل إحاطة العدو بالحي مثلا في
الهلاك مخلصين له الدين من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن أنجيتنا على إرادة القول أو لأن دعوا
من جملة القول يبغون في الأرض يفسدون فيها ويعبثون مترامين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح إذا ترامى
إلى الفساد فإن قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة
وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة وقرئ متاع الحيوة الدنيا
بالنصب فإن قلت ما الفرق بين القراءتين قلت إذا رفعت كان المتاع خبرا للمبتدأ الذي هو بغيكم وعلى أنفسكم
صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه إنما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها
وإذا نصبت فعلى أنفسكم خبر غير صلة معناه إنما بغيكم وبال على أنفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد
كأنه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز أن يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام أسرع
الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق
الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنه لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه

يا صاحب البغي إن البغي مصرعة ... فاربع فخير فعال المرء أعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل ... لاندك منه أعاليه وأسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم هذا من التشبيه المركب
شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما بعد
ما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا أخذت الأرض
زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون
فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين وأصل ازينت تزينت فأدغم وبالأصل قرأ عبد الله وقرئ وأزينت
على أفعلت من غير إعلال الفعل كأغيلت وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها
متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها أتاها أمرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم
واستيقانهم أنه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله كأن لم تغن
كأن لم يغن زرعها أي لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه وإلا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن كأن لم يغن
بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف وهو الزرع وعن مروان أنه قرأ على المنبر كأن لم يتغن بالأمس من قول الأعشى
طويل الثواء طويل التغني والأمس مثل في الوقت القريب كأنه قيل لم تغن آنفا دار السلام الجنة أضافها إلى اسمه تعظيما
لها وقيل السلام السلامة لأن أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم إلا قيلا سلاما
سلاما ويهدي من يشاء ويوفق من يشاء وهم الذين علم أن اللطف يجدي عليهم لأن مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم
إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهو التفضل ويدل عليه
قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الحسنة والزيادة عشر أمثالها
وعن الحسن عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة أن تمر
السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيئا إلا أمطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة

Copyright © King Saud University